الأهرام

١٩٩٨/٦/٧

عن كمال النجمى وأم كلثوم ورتيبة الحفنى

جاءتنى هذه الرسالة الرصينة المتميزة من الأستاذ كمال محمد مرتضى النجمى، نجل الناقد والدارس الموسوعى الكبير كمال النجمى، الذى فقدته بلادنا فى فبراير الماضى مع عدد أخذ يتزايد من نجوم العهود الزاهرة فى الأدب وفنون التشكيل والطب والموسيقى - يتزايد بصورة مقلقة. ونحن نخبىء ألمنا لفقدهم بالقول : «ان مصر ولادة» وأن غيرهم من المبدعين والممتازين فى حقول الثقافة المختلفة لايلبثون أن يظهروا. وهو قول نردده كى نأسو الجراح، ولكن واقع الأمر أن هؤلاء لن يعوضوا.

بقلم :

د. على الراعى

اعلم ان هذا هول يستفز الكثيرين إلى القول : وماذا فى فقد الكبار؟ اليست هذه سنة الحياة ؟ لكل زمان مبدعوه وهم اقدر من غيرهم على التعبير عن روح العصر. وغياب الكثار يفسح الطريق امام ظهور المواهب الشابة الكفيلة بتجديد التربة واخصابها، وبث بذور فنون وثقافات جديدة تواكب العصر. فى هذا المعنى قال برنارد شو ذات يوم : «ان الموت اختراع تقدمى» ! بمعنى انه يجتث الميت والجاف والمتحجر فى شجرة الحياة وينبت بدلا منها جميعا اوراقا وغصونا مليئة بعصب الحياة وعصيرها». وهو قول صحيح جزئيا فقط ولهذا لا تمنع صحته الجزئية هذه من الاسى على العظمة التى اغتالها الموت، وترك الارض خالية من المواهب التى يعتد بها. فالقول صحيح حين تكون التربة خصبة بالفعل، جاهزة للميلاد الجديد. أما حين تكون الارض خرابا او كالخراب، فان الإحلال والابدال اللذين يشير اليهما برنارد شو لا يتمان ابدا. إنما تصبح الأرض كالاحراش المحترقة، مليئة بالحشرات النطاطة والاشكال الشوهاء. ويظل هذا الوضع قائما الى ان تجمع الحياة إرادتها وتشد عزيمتها ويحتشد لها من القوة مايعينها على تحمل آلام المخاض. إذ ذاك تحدث المعجزة التى تصاحب ميلاد المواهب الفذة. تمت هذه المعجزة على مر التاريخ، حين ولدت موهبة هنريك ايسن فى النرويج، البلد الذى لم يكن له تراث مسرحى يعتد به، فإذا بايسن يقود بلاده إلى زعامة المسرح المعاصر فى العالم كله. ومن قبل تمت معجزة ميلاد عبقرية شكسبير وميلاد عبقرية سيد درويش، وان كان من الواجب ان انبه إلى ان ميلاد هذه العبقريات لم يكن فى فراغ. فشكسبير كان وراءه جهود من سبقوه او عاصروه. اتكا هو عليهم لكى يصل إلى القمة. والقول نفسه ينطبق على سيد درويش وينطق جزئيا على ايسن. فقد كان له معاصرون أهمهم ستريندبرج. كما ان برنارد شو استند فى ظهوره المفاجىء فى حقل المسرح على مسرح ايسن، الذى استورده شو استيرادا إلى بريطانيا وعانى بسبب الدفاع عنه الأمرين. كذلك استند الى المسرح الايرلندى ونجمه الكبير شون اوكيزى الذى كان يتبادل وإياه عملية التساند. المسألة برمتها - إذن - أبعد ماتكون تقبلا للتبسيط. لاتزال الموهبة سرا يستعصى على التفسير الكامل المقنع. لايزال هناك عنصر ميتافيزيقى يناطح التفسير الموضوعى الذى استعرضت بعض امثلته انفا - الموهبة تولد وتعطى بقوانين سرية دفينة لا نعلم عنها الكثير. والا فما الذى جعل الكاتب الفرنسى ديماس الأبن يتفوق على أبيه ؟ ماالذى جعل المهرج الفرنسى الفذ «دى بيرو» يتفوق على اسرته من الفنانين الجوالين، رغم أنه ظل مدة طويلة مجرد هزاة بالنسبة لهم ؟ ماالذى اعطاه القوة والقدرة على أن يجعل مشاهديه يتسمرون فى اماكنهم وهم يشاهدون اداءه لدور المهرج أداء اصبح المصدر الأول لكل المهرجين الكبار الذين تلوه ؟ ماالذى جعل تشابلين يتحول من لاعب صغير الشان من فنانى «الميوزيكل هول» إلى مهرج عالمى عالى القدر والشان ؟ ماالذى جعل موليير ممثل الاقاليم الجوال يصبح علما خفاقا من أعلام الكوميديا ؟ الجواب فى كل حالة هو : الموهبة اولا، لم ماشئت ان تجده من عوامل خارج نطاق الذات يمكن ان تخضع للتقنين.

انتقل الآن إلى رسالة الأستاذ مرتضى النجمى واثبتها بنصها، ثم اعلق عليها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الكبير والناقد القدير الدكتور/ على الراعى

حفظه الله

تحية طيبة وبعد

اتابع وغيرى من القراء مقالاتك التى تطالعنا بها جريدة الأهرام الغراء (الأحد من كل اسبوع) - وقد يكون كلاما مكررا إذا ماقلت : إننا ننتظر هذه المقالات بشغف كبير لما فيها من حس نقدى متميز وراء ممتعة تدل على خبرة عميقة وتمكن كبير ودراية عظيمة بفنون الأدب العربى. واثارنى اتجاه مقالاتكم للحديث عن ام كلثوم وعلاقتها بالشاعر احمد رامى وذلك فى المقالين بتاريخ (١٥ من مارس ١٩٩٨و ٢٦ من أبريل ١٩٩٨) وعلى كل حال فالحديث فى هذا الموضوع متصل ولكن قبل ان اسجل ماأريد تسجيله فى هذا الموضوع اود ان اسجل نقطة مهمة هى :

مع احترامى لكل من كتب عن الغناء فى مصر او الوطن العربى سواء بالنقد الأكاديمى المتخصص او غير المتخصص، وسواء كان النقاد موضوعيين او غير ذلك اقول : يقف الاستاذ كمال النجمى رحمه الله على راس هؤلاء النقاد ناقدا متميزا عميقا دارسا موضوعيا غير منحاز وتقف كتاباته (ثلاثة عشر مؤلفا عن الغناء المصرى والعربى) فى القمة من المؤلفات المتخصصة عن الغناء مما جعل فنانا رائعا هوالأستاذ سليم سحاب يطلق عليه لقب «عبد الوهاب النقد الفنى».

ولعلك لا تختلف معى فى ان زهد الأستاذ/ كمال النجمى رحمه الله فى الشهرة أو التهافت على الظهور (وإذا اراد ذلك لكان ملء السمع والبصر) جعل غيره من مدعى النقد الغنائى يصلون إلى الشهرة الزائفة والإدعاء بانهم أصحاب الهامات العالية فى النقد الغنائى وهم ابعد مايكون عن ذلك. وإن كان لى عتاب على استاذنا الدكتور/ على الراعى فإنه وحتى الآن لم تكتب كلمة إنصاف عن هذا الراحل الكبير (وفاته فى ١٤ من فبراير الماضى) تجلى عظمته فى مجال نقد الغناء المصرى والعربى - واعتقد ان استاذنا الدكتور على الراعى كان قريبا من شخص المرحوم الأستاذ كمال النجمى بحكم التزامل فى مجلة الهلال.

بعد هذه المقدمة اقول لماذا لا نرجع الى ماكتب هذا الناقد الكبير عن ام كلثوم فى مجلات الهلال والكواكب ومجلة فن (تصدر فى لبنان) أو - ماخصها بالذكر فى مؤلفاته السالف الإشارة إليها خاصة كتابه الرائع «الغناء العربى من الموصلى وزرياب إلى ام كلثوم وعبد الوهاب»

ارجو ان يتسع صدر د/ على الراعى لهذه النقطة - ثم انتقل إلى الحديث عن ام كلثوم ورامى من خلال النقاط التالية :

كتبت الدكتورة رتيبة الحفنى كتابا رائعا اسمته (ام كلثوم معجزة الغناء العربى) وقد سجلت فى هذا الكتاب اراء الأستاذ كمال النجمى من خلال سبعة وعشرين موضعا - ومن هذه الآراء يقول النجمى : لقد أسهمت ام كلثوم بصوتها إسهاما جوهريا فى خلق اساليب التلحين العربية المتطورة، واتاح للملحنين ان يجوبوا افاقا شاسعة ماكنت لهم على بال لولا وجود هذا الصوت الذى جعلهم بإمكاناته الباهرة إلى تلك الآفاق. واعمال القصبجى وزكريا احمد والسنباطى تشهد بذلك.

وعن زعامة ام كلثوم للغناء يقول الأستاذ/ كمال النجمى :

جددت ام كلثوم فن الغناء العربى، وردته إلى اسلوبه الحضارى الأول، وكان ماصنعته ام كلثوم شبيها بما صنعه محمود سامى البارودى فى الشعر العربى فكلاهما رد فنه الجميل إلى الطريقة العربية التى داستها اقدام العثمانيين والجركس وشرائم الغجر والوافدين على مصر من البلاد الأعجمية طوال مئات السنين.

ومن أجمل أبواب كتاب د/ رتيبة الحفنى (ام كلثوم عن معجزة الغناء العربى الباب الثالث المعنون بـ ام كلثوم والشعر)

- تقول ام كلثوم عن لقائها برامى :

والواقع ان الذى نقلنى إلى حب الشعر وتذوقه - هو أحمد رامى: فقد التقيت به حوالى عام ١٩٢٢ جاء به صديق له «محمد فاضل» كان قد دعاه ليستمع إلى فى إحدى حفلاتى التى كنت اقدمها فى الازبكية، وكان عائدا لتوه من باريس بعد ان اتم دراسته ولكى احييه غنيت له قصيدة «الصب تفضحه عيونه» ولم يتح لنا ان نلتقى على الفور بعد ذلك لأننى سافرت إلى مصيف راس البر فلما عدت اتصلت به وقلت له : إن الجمهور يحب ان ينتقل من الأغانى المسفة التى يسمعها إلى القصائد والشعر العظيم على مراحل فقال رامى : ولكنى أعددت لك قصيدة «إن حالى فى هواها عجب».

بعد ذلك قدم رامى اغنيات : «إنت فاكرانى ولا نسيانى» «إن كنت أسامح وانسى الأسية».

ثم انتقل من هذه الطقاطيق إلى معلقاته الغنائية : سهران لوحدى - غلبت أصالح - جددت حبك ليه - ياظالمنى - ياللى كان يشجيك أنينى، هلت ليالى القمر.

واستطاعت هذه الاغانى بالفاظها السهلة ان تاخذ الجمهور بعيدا عن اغانى الإسفاف التى سادت زمنا.

وعن فضل رامى على ام كلثوم فى تذوق الشعر تقول ام كلثوم :

- وعلى يد رامى قرات الأغانى وكليلة ودمنة، وقرات لكل الشعراء القدامى حتى تمنيت ان اكون شاعرة واحس رامى بهذا وكان يقول لى : لا عليك ان تكونى شاعرة إن تذوق الشعر وحده موهبة.

واستطاع احمد رامى ان يضع بالكلام السهل الممتع صورا اخاذة ومعانى رائعة حين قال :

من كتر شوقى سبقت عمرى

وشفت بكرة والوقت بدرى

كذلك جاءت أبياته :

فضلت أعيش بقلوب الناس

وكل عاشق قلبى معاه

شربوا الهوى وسابوا لى الكاس

من غير نديم اشرب وياه

يقول رامى عن كثرة مؤلفاته الشعرية لسيدة الغناء العربى ام كلثوم :

لم يشاركنى فيها شاعر خمسة وثلاثين عاما من العشرين إلى الخمسين

وتقول معلقة على مقالة رامى :

وكان رامى صادقا لم يتجاوز الواقع إذا ماستثنينا قصائد احمد شوقى وبيرم التونسى وقصيدة حافظ إبراهيم «مصر تتحدث عن نفسها»

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

١٩٩٨/٦/٧

رافق احمد رامي أم كلثوم في رحلتها الفنية اكثر من نصف قرن شدت فيه من كلماته مايقرب من ثلاثمائة اغنية وقصيدة.

السيد الدكتور على الراعى

ارجو الا اكون قد اطلت وارجو ان يتسع صدرك لهذه السطور واتمنى أن اقرأ قريبا كلمة إنصاف للناقد الفنى الموسيقى الكبير كمال النجمى بقلمك الرصين

ودمتم للنقد الادبى والفنى ذخرا للأجيال.

كمال محمد مرتضى النجمى

نجع حمادى

اتقبل بالترحاب ماجاء بهذه الرسالة الجادة من عتاب لى، لاننى - فى راى كاتبها - قد اغفلت ذكر كمال النجمى ولم اكتب عنه غداة رحيله. غير اننى ارد بعض هذا العتاب إلى كاتب الرسالة نفسه، وإلى الدكتورة رتيبة الحفنى، كما لا اعفى الراحل الكبير من بعض المسئولية. فقد كان عزوفا عن الانتشار إلى درجة غير عادية، الحقت به غير قليل من الضرر، ومكنت الادعياء من التحدث فى غير مايعلمون أو يحسنون. ان المرة الوحيدة التى وصلت إلى فيها بعض من مؤلفات كمال النجمى كانت سلسلته التى نشرتها كتب الهلال عن التراث الغنائى قدمها النجمى. وقد تناولت كتابه : «يوميات المغنين والجوارى» بنقد يفيض حبا وتقديرا لها ولصاحبها. ولان الحياء كان يمنع النجمى من الاتصال المباشر بمن يكتبون عنه فقد فضل ان يكتب الى شاكرا ومقدرا ومعتزا بما كتبته عنه. والمعنى المستفاد اننى لا اتردد فى الكتابة عما يستحق الكتابة حين تتاح لى المادة. وهنا اود ان انبه انه ليس من مهام الناقد ان يبحث عن الكتب بل من واجب الكتب ان تسعى إليه، فيكفى الناقد عناء النقد - ويعلم الله كم هو باهظ ثقيل الوطاة على من يحترمون اقلامهم. فإذا ماوصلت الكتب ولم يحفل الناقد بها فهنا وهنا فقط يجوز العتاب.

ولو طبقنا هذا الكلام على كمال النجمى ومؤلفاته لوجدناه يتحمل بعض التبعة فى قلة الحديث الجاد عنه، ولوجدنا ايضا ان نجله الاستاذ مرتضى النجمى يتحمل جزءا من المسئولية. فليس يكفى ان يشير الى ان الراحل الكبير كتب فى مجلات ومجالات مختلفة، بل عليه ان يوسع إهتمامه بذكرى والده بالعمل على ان تصل هذه الكتابات الى النقاد، وهذه مهمة جديرة بان يتولاها مرتضى النجمى، ليس لخدمة ذكرى والده العطرة وحسب، بل لخدمة التاريخ للنقد الموسيقى الجاد. وانا اعد الاستاذ مرتضى بان اكتب عن كتاب: كمال النجمى : «الغناء العربى من الموصلى وزرياب إلى أم كلثوم وعبد الوهاب» فور وصول نسخة منه الى.

اما كتاب الدكتورة رتيبة الحفنى عن ام كلثوم فاننى اسمع عنه ولا اراه.

ومرة اخرى اقول ان الكتاب - كالعمل المسرحى - لا تقوم له قائمة - لا تكتب له حياة - الا إذا عرض على الناس. المسرحية بلا تقديم كتاب مغلق، والكتاب بلا تقدم مجرد أوراق مطبوعة. وعلى هذا فمن واجب الدكتورة رتيبة ان تعرض اعمالها للنقد، بإيصالها الى كل من يحترمون الكلمة الجادة. ومرة أخرى أعد بالاهتمام بكتاب الدكتورة فور حصولى على نسخة منه.

عسى ان يجد الاستاذ مرتضى النجمى فى هذا الكلام مايخفف من احتجاجه على للاغفال المدعى، فما اظن حاله معى إلا كما وصف الشاعر احمد شوقى مسافة الخلف بين التمنى والعمل، حين قال : «ان المنى لم تقصر، بل قصر المتمنى».

رحم الله كمال النجمى، فقد اثرى رؤيانا الفنية والموسيقية والغنائية بمؤلفاته العديدة. ووضع أسسا راسخة لتناول هذه الموضوعات الشديدة الالتصاق بوجداننا القومى، وهى اسس جمعت بين وضوح المنطق، وجمال التعبير، ومتعة الاقتراب القصصى فى ارقى صوره.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية